مقدمة

«عبد الحميد بن باديس وآراؤه الفلسفية بين النظرية والتطبيق» هو موضوع رسالة الماجستير التى نوقشت فى صيف عام ١٩٨٢م بكلية الآداب – جامعة القاهرة . قسم الفلسفة .

وكانت لجنة المناقشة والتحكيم برئاسة الأستاذ الدكتور يحيى هويدى وعضوية كل من : الأستاذ الدكتور محمد عاطف العراقى ، والأستاذة الدكتورة نازلى إسماعيل حسين .

وقد أجيزت الرسالة بعد المناقشة العلنية التى استغرقت حوالى ست ساعات بتقدير جيد جدا .

* وقد ترددت كثيرا قبل طبع هذه الرسالة فى كتاب وذلك لعدة أسباب أهمها تلك الملاحظات الموضوعية التى أشار إليها أستاذنا الدكتور عاطف العراقى أثناء المناقشة ، وكذلك بسبب حجم الرسالة الكبير إلى حد ما، وتشعب موضوعاتها وكثرة المقارنات العديدة التى حوتها الرسالة بين الإمام عبد الحميد بن باديس والعديد من المفكرين والفلاسفة القدامى والمعاصرين .

* وبرغم أهمية الفكر التنويرى لابن باديس وحاجة المجتمع العربى إليه فى يومنا هذا فقد ظل التردد يمنعنى من الإقدام على طبع هذه الرسالة . ولكن بفضل تشجيع أساتذتى وتوجيهاتهم ، وبعض الخبرات التى اكتسبتها فى مجال التأليف والنشر، بالإضافة إلى المتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية التى تسيطر على ساحة الفكر العربى الآن والتوجهات الفكرية المتصارعة ... لهذا وجدت لزاما على أن أقدم للقارئ العربى فكر الإمام عبد الحميد بن باديس فى إطار فلسفى ومنهجى، وكمصلح ومفكر ورائد من رواد حركة التنوير العربى المعاصرة والتى

بدأها محمد عبده والأفغانى والكواكبى ورشيد رضا ومن تأثر بمنهجهم أمثال طه حسين وزكى نجيب محمود وغيرهم .

ويأتى فى هذا الإطار تأكيد الدكتور هويدى على أن ابن باديس كان فى مقدمة التنويريين العرب، وكان من أخلص تلاميذ الإمام محمد عبده تمسكا بالعقل واهتماما بالعلم ونشره ..

* ولا شك أن دراسات ومقالات عديدة تناولت آراء ابن باديس من الناحية السياسية أو من الناحية الدينية والعقائدية وأبرزت دوره الريادى فى حركة الإصلاح الدينى، أما هذا البحث فلعله فى مقدمة البحوث التى عالجت الجانب الفلسفى والمنهجى فى تفكير الإمام ابن باديس ، محاولاً الإجابة على العديد من التساؤلات التى أثارها الباحثون فى الفكر الباديسى . منها :

١- هل استطاع ابن باديس بالفعل أن يقدم فلسفة قرآنية خالصة ذات ملامح محددة ومتميزة ؟ وما مدى اتفاق أو اختلاف هذه الفلسفة عن ما قدمه فلاسفة الإسلام الأوائل وخاصة الفقهاء وعلماء الكلام .

٢- هل كانت محاولة ابن باديس قاصرة على تقديم آراء تربوية وأخلاقية مستمدة من القرآن والحديث وآراء السلف ليكون لها الأثر المباشر والسريع فى إحداث الوعى وبناء المجتمع وتطوره ؟ أم أن دوره وفكره قد تخطى محدودية المكان والزمان ..

٣- ما هو الأسلوب الذى نهجه ابن باديس في معالجة القضايا الفكرية والأحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية التى كان يمر بها المجتمع العربى والجزائرى آنذاك .. تطبيقا لآرائه وتحقيقا لأهدافه ؟

* وهنا لاحظت مدى نجاح منهجه الإصلاحى القائم على التمسك بالقرآن والسنة ومنهج السلف والاعتماد على النفس فكراً وسلوكاً كإطار ومصدر للفكر الإسلامى القابل للتطبيق ..

كما لاحظت أن الممارسة العملية للمنهج الباديسى المعتمد على الطريقة الاستقرائية الموضوعية القائمة على تتبع وتحليل وفهم قضايا المجتمع والتزامه بالأسلوب العلمى فى دراسة الأفكار والعادات والنظم وأطوار الأمم وعوامل قيامها وهدمها كان له الأثر الفعال فى إحداث الوعى الاجتماعى المطلوب سواء فى المجتمع العربى عموماً والمجتمع الجزائرى على وجه الخصوص .

* وفى هذا الإطار أيضا لاحظت مدى نجاح ابن باديس فى تحقيق نتائج ملموسة فى مجال السلوك العلمى والخلقى للأفراد وفى مجال إصلاح اللغة والتعليم والتخلص من التبعية للأجنبى والقضاء على عوامل التخلف كالجهل والاندماج والطرقية وغيرها ..

* إن التزام ابن باديس فى تفسيره بالمنهج السلفى المتنور ، وبالأسلوب العلمى فى دراسة الأفكار والعادات والنظم الاجتماعية السائدة وأطوار الأمم يعكس مدى اهتمامه بالإنسان وبنائه بإصلاح نفسه وقواه العاملة ، إلى جانب اهتمامه بقضايا الألوهية والربوبية والوحدانية .

وهكذا جمع ابن باديس فى فلسفته بين الجانب النظرى المعرفى والجانب العلمى التطبيقى فكانت فلسفته نظرية فى جانبها العلمى والمعرفى تطبيقية فى جانبها الاجتماعى والسياسى .

واعترافاً بفضل ابن باديس وريادته ودوره التنويرى والإصلاحى فى عالمنا العربى أقدم هذا البحث للقارئ العربى حتى يتواءم مع تلك المتغيرات الفكرية والاحتياجات العقلية للإنسان العربى الذى أرشك أن يفقد هويته وأصالته وحضارته.

والله الموفق والمعين

د. عبدالحميد درويش عبدالحميد

بهتيم فى : ٢١ أكتوبر ١٩٩٤م

١٦ جمادى الأولى ١٤١٥هـ